

أساليب شعراء العراق المحدثين وصورهم الشعرية

١٩٧٥-١٩٤٥

أ.م.د. يونس عباس حسين
أ.م.د. جمال جليل إسماعيل
الجامعة المستنصرية-كلية التربية الأساسية

مدخل

الشاعر واللغة

لكل مرحلة زمنية أصولها ومتغيراتها التي تنعكس آثارها وتأثيراتها على مجمل النشاط الفكري والثقافي والسياسي، ولما كان الإنسان أبناً للبيئة فلا بد أن يحدث التفاعل و التلاقح بينهما، بما يؤدي إلى نشوب الصراع تارة ، والتجاذب تارة أخرى ، فإن كان ذلك يبدو مألوفاً للمرء فإنه يبدو ساطعاً وواضحاً للإنسان الأديب والشاعر ، لما يتحلى به الثاني من قدرات وإمكانيات ومؤهلات ودور مهم في بناء الحياة والمجتمع وما يكونه من تلاحم وارتباط وثيق بالبيئة والمحيط الذي يحيا في وسطه فالحياة والزمن والبيئة تلقي بظلالها على روح الشاعر وهواجسه، فهو أي الشاعر يستمد منها نسخ الحياة ، فالشاعر قريب بحياته وأدواته منها ، وأضحى هذا خطأ واضحاً ومنحى لا مناص منه ، يعيش فيه ويحيا في ضوء معايير خاصة تختلف من مكان لآخر، ومن بيئة وزمن لآخر . هذا الارتباط الصميمي يدفع بالشاعر أن يتميز بل لا بد أن يتميز ويكون هذا التميز مؤشراً عليه ، يدفع به إلى البحث عن لغة معينة ، وأسلوب خاص ينفرد به عن الآخر مرة ، وعن ما سبقوه من الشعراء مرة أخرى . وهذا الخط والأسلوب به يُعرف ويشتهر ويدرس ، فلا غرو إذن أن تكون اللغة أساس الشعر والأساليب والصور الشعرية جوهر الإبداع وإن تخطى هذه المسيرة باهتمام الباحثين والدارسين والنقاد .

من هنا كان لأساليب شعراء العراق المحدثين من عاشوا في حقبة زمنية كانت حبلية بأحداثها وصراعاتها، أشرت مطلع القرن العشرين كان انعكاساً وصدى لأحداث وقضايا شلت اهتمام الشعراء والأدباء وتركوا إزاءها موقفاً لا غبار عليه .

منذ أن خرج الناس للدنيا ظلت اللغة وسيلتهم المشتركة في التفاهم والتفكير فهي الجسر الذي من خلاله يثب المرء إلى آفاق رحبة في عالمه الواسع والمترامي الأطراف ، هذه هي في الحياة العامة ، أما في الشعر فإنها تكسب طابعاً خاصاً ، فقد حظيت منذ القدم بكل العناية والاهتمام حتى صار النقد اللغوي هو عمود النقد العربي برمته وباتت مهمة الشاعر تحدد في قدرته على الارتفاع بها عن عموميتها ويتحول بها إلى صوت شخصي خاص به ، يبدع في نظمها وصياغتها في حلية جديدة تتأتى من خلال موهبته وقدرته الإبداعية ورؤيته الخاصة للعالم وللأشياء

، مستثمراً في الوصول إلى إبداعه أصواتها وجرسها ودلالاتها المتعددة وإيقاعها على نحو جميل و متميز .

فعلية بمقدار ما يتميز الشاعر في خلق لغته الخاصة يتجلى إبداعه وبه يُعرف .
فلا عجب أن تُولف اللغة جوهر الشعر وأن تحظى بالاهتمام كله والعناية كلها من قبل قدماء علماء اللغة العرب إلى يومنا هذا من دون انقطاع .

ولا مرأ في أن البناء الشعري ما هو إلا بناء لغوي يعتمد في بنائه على إمكانات اللغة الصوتية والتصويرية والوجدانية والإيحائية ، تُستثمر استثماراً جيداً لتكون خبرة جديدة ممتزجة بالحياة ، تُنقل إلى الملتقى لتترك التأثير المطلوب على وجدانه وعقله .
إذْ فاللغة فن من الفنون المختلفة للنشاط البشري وهو شيء مركب تتصل دراسته بعلوم عدة ، ولها من التميز والتفرد لما تتسم به عن بقية الفنون الأخرى بغايات ومهام مزدوجة بوصفها صورة للواقع ورمزاً له .

(كما أن تحيا في الوقت نفسه بموجب قوانينها الخاصة ، وما تتمتع به من وجود مستقل تستمده من أصولها ، وارتباطاتها ، واستعمالاتها .

فاللغة إلى حد ما ذات كيان حي خاص ، ولألفاظ وجودها المستقل ، فهي مشحونة بالقيم المعنوية المستمدة من أصولها ، ليس هذا حسب بل هي أيضاً أداة اتصال تستخدم كي تثير عند الأفراد الآخرين استجابات محددة .

وإذا كانت اللغة تعبر عن الأشياء جميعها بمعايير العقل فعلى الشاعر أن يعبر عن الأشياء جميعها بمعايير الخيال لأنه يتطلب الرؤيا أما اللغة فلا تقدم إلا المفاهيم .

إزاء ذلك وودنا أن يكون موضوعنا أساليب الشعراء المحدثين في العراق وصورهم الشعرية وعلاقة اللغة بالشعر ولغة شعراء الإصلاح في العراق . وكيف سلكت القصيدة الحديثة بوصفها شكلاً من أشكال الوعي الاجتماعي ونشاطاً غنياً من نشاطات الإنسان العراقي الجديد النابض بالحيوية والحركة ، وكيف اقتضت الضرورة الاجتماعية والفكرية أن تكون للقصيدة الحديثة أشكالها الإبداعية وأنماطها التعبيرية ، ومضامينها الحيوية ، مراعيًا الذوق الني للمتلقي المتسلح بوعي وثقافة جديدة .

أساليب شعراء العراق المحدثين وصورهم الشعرية

١٩٧٥-١٩٤٥

سار شعراء العراق المحدثون وإن اختلفوا في توجهاتهم العقائدية والفكرية، ساروا على خط واضح مفاده أنهم أعلم بحياتهم وأدواتهم من غيرهم ، فما عادوا يرغبون بأدوات جاهزة وأساليب معروفة في ضوء عالم جديد متغير لكي يقتنعوا لحظات كبيرة من سجل حياتهم وحياة الآخرين . إزاء ذلك لقد كان منطياً أن تختلق أساليب الشاعر وأدواته وأن يربط فنه الشعري وموضوعاته بالمجتمع كما يراها ماثلة أمامه في الخارج كما كان يراها الشعراء السابقون لمرحلته الذين انعدمت تجربتهم الخصية وارتبطت بالقضايا العامة تعبر عنها تعبيراً تقديرياً . لقد أشبع شعراء العراق المحدثون الجو الداخلي للقصيدة بالصور الموحية والتوفيق العضوي بين الموسيقى والصورة مبتعدين عن الخطاب المجمل وصيغ الأمر ملتزمين بأشكال وصول تتواءم وروح العصر الجديد وانفعالاتهم الشخصية .

ما أن أطل الربع الأول من القرن العشرين حتى فتح شعراء العراق المحدثون عينهم على واقع مشلول يعاني هبوطاً مادياً وروحياً يكاد يعم شؤون الحياة جميعاً ، ومشاكل وهموم اجتماعية وفكرية توزعت على أكثر شرائح المجتمع ، أبعادها ذاتية أكثر من كونها عامة .

ونحن إذا ما قارنا بين أسلوب ولغة الشعراء العراقيين الذين ظهوروا على الساحة الأدبية في أربعينيات القرن العشرين وبين أسلافهم من الشعراء الذين ظهوروا قبلهم بمرحلة زمنية التي تمثلت بأصوات الزهاوي والرصافي ومعاصريهما نجد مساحة واسعة من الاختلاف في الرؤيا والاتجاه والشكل والمضمون وطرائق المعالجة في مسائل تناولهم قضايا المجتمع العراقي وهمومه ، فضلاً عن همومهم الذاتية المتشابكة ، مرد ذلك لاختلاف ظروف الحياة واتساع الوعي الفكري والاجتماعي بين شعراء المرحلتين ، تمخض عنها ظهور تيارات ومذاهب ومدارس مختلفة في السياسة والفن والأدب والاجتماع وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية استند الشعر العراقي الحديث إلى مقاييس وأسس جديدة أضحت أساساً لفروقات كثيرة بين الشعراء المحدثين في العراق ولاسيما بعد أن نضجت تجارب الشعراء الشعرية لعوامل عدة .

صارت للقصيدة الحديثة مديات واسعة بدأت تتأثر وتؤثر نقلها أصحابها من إطارها الخاص إلى إطارها العام . واتسعت حدقات الشاعر وكبرت حجم عدساته وهو ينظر ويتأمل إلى ما أحاط به من قضايا ومشاكل توزعت على مساحات واسعة من عقله وتفكيره .

فماذا وجد الشاعر المحدث حيال هذه الظروف ، وماذا هيأ له من عدة فنية تتعلق بالمفردات والأشكال والصور الموحية وجد أن تجارب من سبقه من الشعراء ما عادت تشفي غليله فراح يبحث عن قوالب وهيكل وأفكار ومضامين جديدة تتواءم مع روح العصر وحاجات الإنسان

العراقي الجديد وحاجات مجتمعه أيضاً ، فالقضايا والهموم التي أفلقت أسلافه من الشعراء ما عادت منفصلة بعضها عن بعض ، بل أضحت خيوطها متشابكة ومتداخلة ، ومحاربة هذه الأمراض تحتاج إلى تأشير وعمل متسارع ، بل إلى الثروة من داخل الإنسان ومن خارجه وقوى أخرى تعمل على إنهاؤها ، فلا بد للقصيدة الشعرية الحديثة أن تعي هذا المتغير الجديد . وصار الشاعر أمام مسؤولية جديدة ومهمة بأن ما جاء به أسلافه لا يستجيب للمرحلة الجديدة وهمومها ، فالقصيدة الحديثة وسيلة وغاية في أداء المعنى والإيحاء به وتأصله بجو خاص ، وما عادت وسيلة الوعظ والنصح والتبصر تؤدي الغرض المطلوب لاختلاف الظروف والأحوال واختلاف وعي الشاعر والمتلقي في الوقت الذي ظل الزهاوي وجيله يدورون في دائرة شكلية مسطحة في تطوير آلام البائسين ، ومواجههم بطريقة بكائية ميلودرامية ، تعوزها النظرة العميقة والرؤية الشمولية بكل ما يحيط الفرد ، وصار الشاعر الحديث على يقين " أن الأديب لا يفهم الحياة حق الفهم نافذاً إلى أعماقها الإنسانية إلا إذا ناضل مع مجموع أمته الذي ينبثق من مجموع الإنسانية الكلي ، وبذلك يصبح أدبه تصوراً اجتماعياً من ناحية ، وتصوراً إنسانياً من ناحية ثانية"^(١) ، وهذه من دون شك لا تأتيه من فراغ ، بل من الانغمار في لهيب الأحداث وعليه إزاء ذلك "أن يجرب التجربة ، ويعاني الانفعال ، ويستطيع في الوقت نفسه أن يعي نفسه ويراقبها ، يفهم ما يجري فيها"^(٢).

فالشاعر المحدث واجه حقائق جديدة ، ومتغيرات في نمط الحياة والفكر والسلوك ، فالأسلوب الخطابي الذي حمله الزهاوي ومعاصروه خفت تأثيره ، بسبب اختلاف وظيفة الشعر نفسه ، وبسبب بروز الوظيفة الفنية والفلسفية للشعر ، فالشاعر المحدث بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وقف على كشوفات عدة في مجال علم النفس والفكر لم يكن يحلم به رفيقه بالأمس ، ثم أن تبدل الأذواق ، وتطور الأحاسيس الفنية عند الشاعر بوجه خاص والناس بوجه عام أدى إلى تبدل الأسلوب في الرؤية والمعالجة عما سبقه .

أضف إلى ذلك ما قد يقود إليه تطور التمازج الثقافي والاجتماعي والالتحام والتداخل بين الناس داخل الوطن وخارجه سيؤدي بالضرورة إلى إيجاد وسائل ، وانبثاق غايات واستنباط أساليب معالجة ، وتوفير منافذ بوح للتعبير والتنفيس عما يدور في الأعمال انسحب هذا التعبير أيضاً عن الشكل الذي يتقرر على أساس حركة المضمون وما يعج به من تفاعلات داخلية ، وعلينا أن لا ننسى دور المتلقي وطبيعة علاقته بالشاعر ومستواه الثقافي واتجاهاته ، كل هذه وغيرها من

(١) في النقد الأدبي ، ص ١٩١ .

(٢) وظيفة الأدب بين الالتزام الفني والانفصام الجمالي ، ص ١٨٠ .

العوامل تتفاعل فيما بينها لتقرر المضمون والإطار واللغة مشكلة الأثر الفني الذي ينشده الشاعر للتأثير في المتلقي والكشف عما يدور بين الناس .

من هنا اختلفت رؤية الشاعر المحدث واختلفت أساليب المعالجة لأنه اليوم أكثر حرية ممن عاش قبله .

فالشاعر الذي سبقه واقصد به جيل الزهاوي والرصافي جنح إلى اعتماد الصورة الوصفية والعبارة الخطابية المباشرة المثقلة بالروح الدرامية حيناً ، والشدة والحدة أحياناً أخرى ، وهذا ما درج عليه الزهاوي والرصافي في غير قصيدة وفي مجالات اجتماعية عدة ، حتى وإن استجاب المنجز الشعري للزهاوي والرصافي ومعاصريهما إلى ما طرحه الواقع السياسي والاجتماعي مطالباً بقيم جديدة ومعايير إنسانية متحضرة في الحياة العراقية ولاسيما في النظرة إلى المرأة نجد أن هذه الاستجابة ، وهذه المضامين والمباشرة في التعبير لم توفق وظلت تراوح في دائرتها الضيقة ، وهي عندي أن هذه الأصوات افتقرت إلى الفكر العقائدي ولم تقترب قليلاً من روح الثورة بسبب ارتباط أغلبها بطبقة سياسية آنذاك لم تبارك أي محاولة تقود إلى النهوض والاصطلاح فنقلت هذه الأصوات ما هو سائد ولم ينجحوا في أن يطبعوا فكر العصر الرامي إلى الثورة على أعمالهم الشعرية فظلوا تائهين وسط أمواج الصرخة من دون هدف فكري واضح تقف وراء ذلك عوامل منها ضيق أفقهم وانعزالهم في مساحة مكانية محدودة .

وتفقدنا قصائد الرصافي والزهاوي اللذين ظلّا في دائرة الشكلية المسطحة إلى تصوير آلام البائسين ومواجههم بطريقة بكائية ، ميلودرامية ، تعوزها النظرة العميقة والرؤيا الشمولية بكل ما يحيط بالفرد .

تمخضت صورهم الشعرية بالفقر إذا ما قارناها بصور السياب والبياتي وشاذل طاقة وحميد سعيد ومحمد جميل شلش وغيرهم التي حملت رؤية جديدة وموقفاً عكس ثقافتهم ووعيهم أولاً وهاجس الفكر السياسي ورغباتها الذي انتموا إليه عرضت أساليبهم صوراً سياسية - اجتماعية ي التفكير والممارسة وموقفاً جديداً ي الحياة والمجتمع والتاريخ ، وصيغاً غير معهودة في النضال الاجتماعي .

إن الشاعر المحدث الذي جاء بعد مرحلة جيل الزهاوي ومعاصريه ، وبعد أن هزته أحداث ومواقف سياسية وفكرية جديدة ، أثرت فيه ومن ثم على نمط تفكيره واتجاهه الاجتماعي والشعري وكان تحليله للآفات الاجتماعية التي باتت تنخر في جسد الشعب نابعاً من تبلور الفكر القومي العربي والإنساني اللذين تمثلتا في التوجهات الوطنية والقومية التي سادت يومئذ .

فنازك الملائكة في هذا المقطع استخدمت ألفاظاً منحتها حياة جديدة ، مشعة ، بما أحدثته من انفعالات وتأثيرات في عالم الشاعر الشعوري الخاص بها :
تقول (١):

ارقصي مذبوحة القلب وغني
واضحكي فالجرح رقص وابتسام
اسألي الموتى الضحايا أن يناموا
وارقصي أنتِ وغني واطمئني

إن الشعراء العراقيين خلال هذه المرحلة الزمنية المهمة من تاريخ العراق عبروا عما يعاينيه الشعب من آلام وهموم ومعاناة اجتماعية من خلال ما أفرزته الأحداث السياسية العامة التي أثارته الحرب العالمية الثانية ، فضلاً عما سبق نشوب الحرب من إرهابات ومواقف .
كانت هذه الأحداث فرصة حيوية للشعراء العراقيين المحدثين أن يعبروا عما يجيش في صدورهم ونفوسهم ، وفي نفوس الجماهير ، وعن رغبتها في التخلص من هذه المعاناة والانطلاق صوب التحرر السياسي والفكري والاجتماعي ، ووفرت له هذه الأحداث فرصة التمرد والبوح والثورة ، فكانت أن اتسعت نظرة الشاعر إلى الأحداث الاجتماعية ، ومشاكل الجماهير وهمومها .
يقول بلند الحيدري (٢) :

((كان ثمة أنين وصراع وعويل يتسلل إلينا من خلل ركام أوربا كحركة شعراً ونثراً... كان الفنان أو الشاعر منا يحاول أن يجد ما تراكم في نفسه من قلق وهلع وخيبة متسعاً جديداً من الأدب والفن ، يبث فيه قيماً جديدة إلى الحياة تتناسب مع أحاسيسه وتفهمه العاطفي لمشاكل العالم المحيط به .

إن الشعراء المحدثين بعد السياب وجيله قد تجاوزوا في معظم شعرهم الطرح المباشر عند تناولهم مختلف القضايا السياسية منا والاجتماعية ، ونراهم وظفوا السياسة لخدمة الكثير من القضايا الاجتماعية التي أفرزتها الأحداث ، فقد استخدموا أساطير العذاب والموت والخصب والنماء لتوضيح المواقف الاجتماعية في الوقت الذي انعدم هذا المنحى في شعر أسلافهم الشعراء الإصلاحيين ، فقد صورّ السياب في قصيدة (سريروس في بابل) عبد الكريم قاسم (سريروس) برؤوسه الثلاثة الذي يملأ الأرض رعباً وموتاً ودمماً كما يرى السياب وهو موقف أملاه ظرف خاص

(١) ديوان نازك الملائكة (المجموعة الشعرية) ، دار العودة ، م١ ، ص٢٣٢ .

(٢) خواطر في الشعر العراقي الحديث ، مجلة الأديب العراقي ، ع١ ، ١٩٦٢ ، ص٣٩ .

ألم بالشاعر ، الأمر الذي يثير فينا حالة القلق الاجتماعي ، والمصير المشؤوم الذي ينتظر مجموع الناس .

يقول السياب^(١) :

أكانت الحياة

أحباً أن تتعاش الصغار آمنين

أكانت الحقول تزهر ؟

أكانت السماء تمطر

أكانت النساء والرجال مؤمنين

بأن في السماء قوة تدمر

تحص ، تسمع الشكاة ، تبصر

ترق ، ترحم الضعاف ، تغفر الذنوب

فلم يجنح السياب إلى اعتماد الصورة الوصفية ، والعبارات الخطابية المباشرة المنقولة بالروح الدرامية حيناً والشدة والحدة حيناً آخر بل اعتمد الصورة الموحية ، الهامسة ، والتحليق في أجواء غير محددة ، تكتنز بكل ما يتفجر عنه الموقف الإنساني والقومي والوطني من عطاءات غنية من القيم والأفكار والمضامين .

وبانت مهمة الشاعر المحدث التوسع في مجال حركته وتعامله مع ((الغاية)) الضرورة ، لا أن يبقي على نفسه مجرد صدى ميت وبليد لهذه ((الضرورة)) من دون روح .
ويشترك صوت شاذل طاقة مع صوت السياب في وصف حالة القلق والاضطراب ، استخدم الأسطورة للتعبير عن حالة التمزق الذي عاشه الإنسان العراقي عبر مراحل زمنية وأحداث مؤلمة واجهها في عصره الحديث .

يقول^(٢) :

قابيل .. يا قابيل .. طار الغراب

ومات هابي .. وجف التراب

يونس كان ههنا في المساء

من ههنا جروه عبر الهضاب

ومزقوا عينيه .. مصوا الدماء

(١) المجموعة الشعرية ، ص ٤٨٤ .

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة ، ص ٢٠٩ .

من قلبه .. حتى استحالوا عواء

وينبيري صوت علي الحلبي أيضاً يستحضر أسطورة الموت والحياة استحضاراً واعياً ،
مستخدماً المطر تعبيراً عن الحياة الجديدة قائلاً^(١) :

وكان مشرق الحياة من نوافذ القدر

يركض كالبشير ، قبل مولد الحياة

يصرخ في مسارب الأبوة ، يا بشر

تساقط المطر

تفجر الفجر

جداولاً من لهب ونور

فالشاعر هنا ما عاد مصلحاً وموجهاً وواعظاً بل هو شاعر موقف سياسي وفكري واجتماعي ، استمد تجربته من تجربته الذاتية المليئة بالمواقف والأحكام والقرارات ليقول كلمته الفصل إزاء ما يحس به ، ولاسيما بعد أن واجه قضايا متشابكة أقلقته وتوزعت على مساحات واسعة في حياته انعكست بدورها على مساحة قصيدته ، ولأنه مؤمن أن ((الشاعر بقدرته على الاختيار ، وبفاعليته في التمييز والتشخيص يستطيع تكثيف القيم ، وتعميق إحساس الناس بهم إلى الكيفية التي يشعر الناس معها أنهم قادرون على أن يعيشوا في كون اجتماعي متميز))^(٢).

وإذا ما استعرضنا الأمثلة الشعرية للشعراء المحدثين الذين ظهروا في أربعينيات القرن العشرين سنجدتها أكثر غنى ، وأشمل علاقة ، وهي أقرب إلى فكر الشاعر المنصهر في دوامة القلق الفكري ، فخرجت قصيدته مشبعة بهذا المد والثراء ، حملت وعي الجمهور ((المجموع)) حيث النظرة والموقف المنحاز إلى مسيرة التقدم والإصلاح والنهوض ، وقد ((كانت هذه النماذج بمجموعها باهرة وجديدة على الأدب العراقي بشكل خاص))^(٣) وتمخضت بتفاعلها مع مكونات الانبعاث القومي التي تبلورت أواخر الأربعينيات عن انطلاقه الشعر العراقي بشكله ومضمونه واتجاهه الاجتماعي الجديد ، بعد أن آمنوا أن للشعر مهمة إيقاظ الإحساس بالحق والجمال عند كل فرد في المجتمع ، كان لزاماً عليه أن يكون أكثر قرباً من هموم الناس ورسم اللوحات المضيئة أمامهم .

(١) ديوانه الشعري ، ص ١٦٨ .

(٢) مقالات في النقد الأدبي ، ت . س . البوت ، ترجمة : لطيفة الزيات ، مكتبة الإنجلو المصرية ، ص ٥١ .

(٣) الشعر الحر في العراق ، يوسف الصائغ ، ص ٣٤ .

هذا المنحى الجديد اعتمد على لغة وأسلوب جديدين اختلفا عن لغة وأسلوب أسلافهم من الشعراء الإصلاحيين الذين ظهوروا في أواخر القرن التاسع عشر الذين اعتمدوا المفردات بدلالاتها التقليدية التقريرية كما فعل الزهاوي والرصافي .

فالشعراء الذين جاءوا بعدهم اعتمدوا لغة منحوها حياة جديدة ، مشعّة بما أحدثته من انفالات تجربتهم الذاتية الخصبية ، لذا وجدنا اللقطة قد ارتبطت بالمعاني ارتباطاً خاصاً وعميقاً لا يمكن فكه ((وأصبح النظر إلى القصيدة كبناء كلي شامل غير مجزأ ، إذ كانت نظرة النقاد العرب القديما إلى القصيدة بالفصل بين الشكل والمضمون أو المعاني والألفاظ))^(١).

فما عادت تهتم الشاعر المحدث استنارة المجموع واستنفارهم لمواجهة الخطر ومعالجة العيوب المستقلة ، ولا صيغة الأمر ، والوعد ، والوعيد وحصر أنفاسه في قضية واحدة محددة، بل راح يوزع اهتماماته العديدة وقضايا الملحّة على مساحة قصيدته كلها ، فالقضايا الملحّة التي تشغله قدمها ممزوجة بقضايا عدة وغير منفصلة عن مجموع قضايا أخرى واضحة بصورته هذه النتيجة المنطقية لما اضطرب به مجتمعنا العراقي آنذاك مما ألزمه اعتماد الباب المفتوح على تجار بالإنسان في كل بقعة من الأرض ، وفي هجرة الصور الوصفية الموحية والتحول من نقل الصورة الطبيعية إلى التأمل والاستغراق في الظاهرة الاجتماعية والسياسية والثقافية .

لقد فرضت أجواء الحياة على الشاعر أن يتعامل في قصيدته مع الجمهور تارة ببساطة الألفاظ وابتعادها عن التعقيد بسبب معاشته اليومية لأجواء النضال لا على مختلف صورته وأشكاله ضد كل ما يعرقل مسيرة المجتمع بعد أن أصبح جل همهم هو النضال إذ لا إصلاح في المجتمع من دون الخوض في النضال ، وأصبحت للمفردة في القصيدة الحديثة دلالة أكثر بتجربة الشاعر ولاسيما بعد أن نضجت تجاربهم الشعرية ، وأصبح للمنهج الرمزي طريق واضح ومرغوب له أيضاً ، نتيجة لتراكم وقائع عدة أثرت فيه وفي توليد الصورة الشعرية الجديدة المعبرة عن الواقع السياسي والاجتماعي والإنساني في تلك المرحلة المهمة من حياة المجتمع العربي ومسيرة الشعر العراقي الحديث .

لذا عدت نازك الملائكة ((القصيدة الرمزية هي استشرافاً داخلياً))^(٢) وقد يكون أن أغلبهم قد فجعوا بأن الآمال التي رغبوا فيها بدأت تتلاشى فجأة ، وأن الأرض بدأت تضيق عليهم نتيجة شدة الصراعات التي أحاطت بهم .

(١) مفهوم الشعر ، جابر عصفور ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٤٠ .

(٢) ينظر : عبد الوهاب البياتي ، تجربتي الشعرية ، ص ١٣ ، وتطور الشعر العربي الحديث في العراق ، ص ٥٥٣ .

فأضحت الصورة تستحضر تاريخاً بكل أبعاده ، وحضارته ، وما يضم هذا التاريخ من حوادث وأخبار ومضامين ، مازجاً فيها معاناته وتجربته الذاتية التي هي جزء من معاناة شعب كامل.

يقول محمد جميل شلش^(١) :

ها هي الساعة عند الثانية

ورفاقي في المصير

يحملون الآن بالزوجة

بالأطفال

بالفجر الكبير

فالشاعر في أشد الحالات وقعاً يفكر بالاستقرار ويحلم بأن ينعم بإنسانيته وهي أروع حالات الصفاء الاجتماعي .

فما عادت القيم والمواقف التي تبرزها القصيدة ذات خصائص فردية فقط إنما صار الشاعر يعنى بإبراز قيم أوسع وطنية وقومية وإنسانية^(٢) واختلفت الذائقة الذوقية واللغوية عن أسلافهم الذين غلب عليهم المنحى الفكري المجرد كتعلم العلوم التطبيقية والأفكار الفلسفية والاجتماعية بعد أن سوغت الرؤية المباشرة لهم للموضوع المطروق أن يسموا الأشياء بأسمائها الأمر الذي أدى إلى ازدحام معجمهم اللغوي بكثير من الكلمات غير المتجانسة الذي قاد أيضاً إلى اضطراب الأساليب وطرق الصياغة وهذا يعني ((أن الشاعر كان يتناول موضوعاته من الخارج - التراث - ولا فضل له إلا في طريقة نظمها))^(٣).

وهذه النظرة ترى في الشعر وسيلة تعليمية ، وفي ضوء ذلك ، فالشعر في نظرهم يكتسب قيمته بما يحمله من قدرة على التعلم والوعظ والإصلاح ، ورسالة الشاعر لا تتعدى الإشادة بقيم الفضائل ومكارم الأخلاق^(٤) وهي الحقيقة التي ينشدونها .

يقول الزهاوي:

هي الحقيقة أرضاها وإن غضبوا وأدعيها وإن صاحوا وإن جلبوا

أما الشعراء المحدثون الذين مثلوا حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية فقد وجدوا أن تجارب أسلافهم ما عادت تشفي غليلهم وهي المليئون غربة وقلقاً هائلاً الذي يصفه جبرا إبراهيم جبرا ((بالقلق العقائدي الرهيب، الذي يمزق الجيل العربي كله ...))^(٥)، فكان مهمهم خلق علاقة إنسانية بين الشعر وملتقيه .

فالقصيدة لديهم عبارة عن لوحة فنية ، تخلق جواً من الإيحاء للقارئ يحس بها ، ويعيشها ، ويتفاعل معها .

يقول السياب في قصيدته (الأسلحة والأطفال) :

سرت عبر حقل من السنبل

(١) ديوان الموت والميلاد ، ص ٨١ .

(٢) ينظر : ديوان الشبيبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٠ ، هـ . و .

(٣) مجلة حوار - ع (٣) ، آذار - نيسان ١٠٦٥ ، ص ١٢٦ .

(٤) ينظر : لغة الشعر الحديث في العراق ، ص ٢٤٤ .

(٥) الشعر العراقي ، أهدافه وخصائصه ي القرن التاسع عشر ، يوسف عز الدين ، مطبعة الزهراء ، بغداد ، ص ٩٧ .

وهسهسة الخبز في يوم عيد
وغمغمة الأم باسم الوليد
تناغيه ي يومه الأول^(١)

تأمل جيداً براعته في استعمال (هسهسة الخبز) و(غمغمة الأم) إنه لون إنساني حيوي مليء بالشعور الإنساني .

وتتخسس هذه الانفعالات عند شعراء آخرين فضاء القصيدة موقفاً ولغة وتماسكها يبرز عند حميد سعيد ، ترصد الواقع وتستحضر محيطها والذاكرة معاص ، وقد توحد بناؤها اللغوي مع البناء الموسيقي بانسيابية .

يقول حميد سعيد^(٢) :

في الأكوخ السوداء المنتشرة على الساحل
يعرف أطفال الصيادين
بأن المهدي سيأتي ذات مساءً
في مدن الخوف
إلى مدن الماء
ويحتفل الفقراء

فإيقاع القصيدة وحركتها تتواءم مع مشاعره الإنسانية التي رفدها خياله الخصب وتجربته الحياتية الغنية .

لذا خرجت لغتهم بصورة تتواءم مع متطلبات المرحلة الجديدة لاسيما بعد الانعطاف السياسي والاجتماعي الذي أحدثتها ثورة تموز عام (١٩٥٨) وما رافقها من أحداث جسام . فتغلب على أسلوبهم الرمز والإيحاء والأسطورة ، وغدت القصيدة لديهم ذا تشكيل خاص جعلت للتغيير الشعري طابعه .

إزاء ذلك تخلصت المفردة الشعرية من الجمود الذي كبلها مدة من الزمن بعد أن منحها حياة جديدة مشعلة .

أنظر شاذل طاقة حيث يذهب إلى حد التوحيد والتفاعل حين يشدو إلى التغيير ، وأضحى الترابط والألفاظ وعلاقتها بالشعور والإحساس الداخلي للشاعر هو الذي يمنح القصيدة نسيجها العام .

يقولون :

في ذات يوم يجيء إلينا
مسيحٌ مزور
يمني الكبار .. بحلوى وسكّر
ويحنو علينا
ويغري الصغار .. بشيح وعنبر
ويحكي .. ويحكي
ويومي إلى جبل من أرز يقود الجياع
إليه .. ويبيكي
وتبقى الدموع معلقة ملجمة^(١)

(١) مجموعته الشعرية ، ص ٥٦٣ .

(٢) مجموعته الشعرية ، ص ٤٦٦ .

ومن خلال تصفحنا لنتائج السياح ، البياتي ، نازك ، علي الحلبي ، شاذل طاقة ، وغيرهم نجد أنهم قاموا بدور كبير بوصفهم أصحاب رسالة ومواقف فكرية مع أبناء قومهم من خلال لغتهم الشعرية وما تحدثه من تأثيرات مباشرة وغير مباشرة في تطور المجتمع وتقدمه، لما للغة من دور مبار في عملية الإبداع الفني للتجربة الشعرية بوصفها (أي اللغة) مرحلة مهمة من مراحل الخلق الشعري .

وسنجد أيضاً اتساع حجم عدساتهم حتى أضحت أكثر قوة وصفاء في الكشف عن جوهر الأشياء ولاسيما ما يعانيه الفرد العراقي من إحباط وما يحلم به من آمال ورغبات ، واتجهت أفكارهم وتجاربهم الشعرية داخل النفس لاستغوار حالات تتعلق بالذات الباطنية وباللاشعور فإزاء ذلك صار لزاماً أن يبتعدوا عن التقريرية والأمثال والحكم المستهلكة التي لا جدوى منها^(٢).

المصادر والمراجع

١. التبشير بالثورة وقيمها في الشعر العراقي المعاصر جلال الخياط ، وزارة الاعلام بغداد ١٩٧٥ .
 ٢. ديوان حميد سعيد ، ج ١ مطبعة الاديب ، بغداد ١٩٨٤ .
 ٣. ديوان بدر شاكر السياب ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧١ .
 ٤. ديوان الشبيبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة، ١٩٤٠ .
 ٥. ديوان نازك الملائكة ، دار العودة ، م ١ ، بيروت، ١٩٧١ .
 ٦. الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى ١٩٨٥ ، يوسف الصائغ دار الشؤون الثقافية، بغداد.
 ٧. الشعر العراقي اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ، يوسف عز الدين ، مطبعة الزهراء بغداد .
 ٨. في النقد الادبي ، شوقي ضيف ، ط ٥ ، دار المعارف ، ١٩٦٢ .
 ٩. لغة الشعر في العراق ، عمران خضير حمير ، ط ١ ، وكالة في الكويت ١٩٨٢ .
 ١٠. مقالات في النقد الادبي ، ت ، س ، اليوت ترجمة لطفية الزيات ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة .
 ١١. وظيفة الادب من الالتزام الفني والانفصام الجمالي ، د . محمد النوهي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦١ .
- المجلات :
١. مجلة الاديب العراقي ، ع ١ ، ١٩٦٢ .
 ٢. مجلة حوار ، ع ٣ ، اذار - نيسان ١٩٦٥ .

(١) المجموعة الشعرية ، ص ٣٩٥-٣٩٦ .

(٢) ينظر: التبشير بالثورة وقيمها في الشعر العراقي المعاصر ، د. جلال الخياط ، منشورات وزارة الإعلام، بغداد ١٩٧٥ ، ص ٥٠٧٢ .